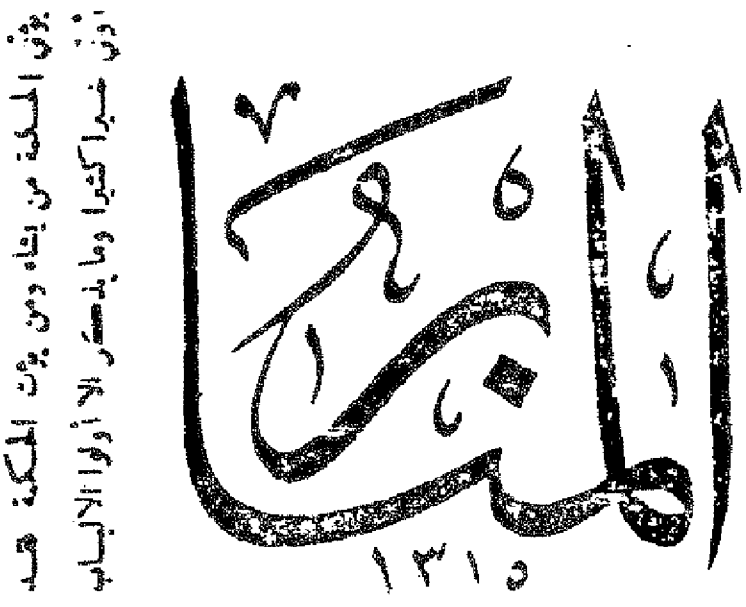

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٧ — ٢ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٧ ش ٢٦ أغسطس ١٩١٩

ذات بين الحجاز ونجد او الخرمة

والوهابية والمتدينة

في هذا الصيف كثر خوض الجرائد الاوربية والعربية المصرية والسورية في المسألة العربية وذكرت أنه وقع بين الوهابيين التابعين لابن سعود أمير نجد والحجازيين حرب صيبها الخلاف في المذهب انتصر فيها الاولون انتصارا ظاهرا في (تربة) فنكلوا بجيش الامير عبد الله نجل ملك الحجاز وأخذوا جميع ما كان معه من المدافع والسلاح والذخائر ثم أذيع انهم احتلوا مكة المكرمة وان ملكها لما شعر بقرب وصولهم اليها أخلاها لهم وسافر الى جدة فأقام فيها واستجار بحليفته بريطانية العظمى. وكثر حديث الناس في هذا المعنى وكان مما ذكرته هذه الجرائد أن الوهابية مصلحون في الاسلام.

وتربة هذه (بضم فتح) قرية في الشرق الجنوبي من مكة والطائف وفي الغرب من وادي تربة الشهير الذي قال فيه صاحب معجم البلدان انه واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.

أما أخذ النجديين مكة المكرمة فهو كذب صرح بتكذيبه كل من الوكالة العربية الهاشمية بمصر ودار الحماية الانكليزية، وأما وقوع القتال وانكسار جيش الامير عبد الله في (تربة) وأخذ جميع أمتعته فقد ثبت رسميا كما فصل في برقية وردت من عدن

وأما ما علمناه في المسألة من ثبات الضباط الذين كانوا في الحجاز وغيرهم فهو ان النزاع والقتال كان بين حكومة مكة وبين الشريف خالد صاحب (الخرمة) وهي قرية في الشرق الشمالي من مكة قريبة من وادي تربة والشريف خالد هذا من شرفاء مكة وعشيرة الامارة فيها وكان قد استنجد لمساعدة الشريف علي على فتح المدينة المنورة فلبى وهو الذي أسر أشرف بك أشقى القواتيين الاتحاديين اذ كان وصلا بلغ كثيرا من الجنيهات المجيدية الى الامير ابن الرشيد ثم وقع الخلاف النكر بين الشريف علي قائد الجيش العربي المحاصر للمدينة المنورة وبين

الشريف خالد فعاد الثاني الى الحرمة وصار ملك الحجاز يرسل الحملة بعد الحملة فتقاتله فيظفر بها وينضم اليه الكثير من بدوها ويدخلون في جماعة الاخوان المتدينة الذين نذكر خبرهم قريبا ، ولما سلم الترك المدينة المنورة الى جيش الامير علي بعد عقد الهدنة بين الدولة العثمانية والحلفاء الف الشريف عبد الله حملة من الجيش النظامي الذي كان محاصرا لها فيها عشرات من الضباط زيدت مرتباتهم وجهزت بأنواع الاسلحة الجديدة من المدافع الجبلية والرشاشة وغيرها وبالديناميت . قال بعض الضباط الذين كانوا في الحجاز ان هذه أعظم حملة يمكن لحكومة الحجاز أن تكافح بها الشريف خالدا فاذا كسرها تيسر له الاستيلاء على مكة المكرمة اذا شاء ، ثم بلغنا ما تقدم من أن جيش ابن سعود هو الذي كسر الحملة ، ثم نقل الينا أن الحملة المنظمة استظهرت على الشريف خالد فامرها ملك الحجاز بالزحف على نجد فعند ذلك أرسل الامير ابن سعود بجيوشه فقاتلها فظفرت بها ، ثم زحفت تقصد مكة حتى قيل انها وصلت الى وادي الليمون وان ملك الحجاز استنجد بالحكومة الانكليزية على ابن سعود ، فسألت الامير ابن سعود عما يريده من الحجاز فأجاب بأنه هو أحق بحكم الحجاز من شرفاء مكة وأن أكثر أهله يفضلونه عليهم لعلمهم بعدله وشكواهم من ظلم جميع الشرفاء واستبدادهم مع ما كان من سيطرة الترك عليهم ، وانه مع هذا لا يبغي الاستيلاء عليه وانما يطلب أن يكون (وادي تربة) هو الحد الفاصل بينه وبين نجد وأن تعترف به الحكومتان حتى لا تعتدي واحدة منهما على ما وراءه وأن يكون لحكومة نجد معتمد في مكة المكرمة ينظر في مصالح رعاياها ويراجع حكومتها في شأنهم فان شريف مكة كثيرا ما يظلمهم وفي بعض السنين يصدهم عن اداء فريضة الحج فلا يسمح لهم بها . فرأى الانكليز أن هذين المطلبين حق فوعدوا ابن سعود بأن يتوسطوا بينه وبين ملك الحجاز فيهما بشرط أن يمتنع هو وجميع أتباعه من التعدي على الحجاز . وبلغنا أيضا انهم خاطبوا ملك الحجاز في ذلك فأبى أن يعترف لنجد بحدود أو يقبل منها معتمدا ، والظاهر أن الانكليز يظاهرون لا سيما مع فقده لسياستهم في بلاد العرب

المتدينة والوهابية

يعلم الملايين من البشر بعضهم بالمشاهدة والاختبار وبعضهم بالروايات الثابتة بالتواتر أن الاعراب (البدو) في الحجاز وغير الحجاز قد عادوا الى شر مما كانوا عليه في الجاهلية من الغزو والسلب والنهب والقتل حتى للحجاج المحرمين في أرض الحرم والاشهر الحرم وأنهم يستحلون ذلك ويسمونه كسبا ، وأن لهم شرائع وأحكاما عرفية مخالفة للشرع لا يرضون الحكم بدونها . وان أكثرهم لا يصلون ولا يصومون ومن يحج منهم لا يلتزم أحكام الشرع في الحج ولا يعرفها ولا يمنعه الاحرام بالحج عن القتل والسلب والنهب ان قدر عليه . ولا شك في أن من كان كذلك فهو ليس بمسلم ولا ذي دين . هذا ما هو مشهور عنهم ، ويظن كثير من الناس انهم كلهم على ذلك وهذا خطأ عظيم فانه يصدق عليهم في هذا العصر ما بينه الله عز وجل من حال أسلافهم في عصر التنزيل وهو ان منهم الكافر والمنافق والمؤمن الصادق . ولكن كفر الكافرين منهم كله أو جله عن جهل بضروريات الدين التي لا يعذر أحد بجهلها ، ولعله لا يوجد فيهم شيء من كفر العناد والجحود

وأما الذين عادوا الى الدين من أعراب الحجاز وما حوله فالفضل في هدايتهم لشيوخ السنوسية ودعاة علماء نجد . أما السنوسيون فقد كان لهم في نشر طريقتهم شرة (أي نشاط وقوة) تلتها فترة . وأما النجديون فقد بلغنا أن شرتهم ونشاطهم بلغا أشدهما في هذه السنين الاخيرة ، ويسمون من يستجيب لهم المتدينة ، ويقابلهم من لا دين لهم يهتدون به وهم الذين لا يعرفون عقيدة الاسلام ولا شرائعه ويستبيحون الغزو والسلب والنهب لمجرد الكسب ، وبلغنا أن الدعاة يبينون في دعوتهم هذه الحقيقة لكشف غرور من ظن من أولئك الاعراب ان تسمية أنفسهم مسلمين يغني عنهم شيئا فيذكرون لهم أن الاسلام علم وعمل فمن لا علم له بحقيقة عقيدته — وأساسها التوحيد الخالص وتنزيه الله تعالى ووصفه بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم — ولا بأحكام أركانه وشرائعه وأن من لا يأتي بأركانه بعد العلم بها فليس منه في شيء . وان من مات من آبائهم وأجدادهم غير عالم بذلك ولا مذعن له بالعمل من مستبيحي القتل والسلب فقد مات كافرا

حال المتدينة الدينية واشتراكيتهم الاختيارية

وبلغنا ان من استجاب دعوة هؤلاء الدعاة من الاعراب يتوب عن الكسب بالغزو والنهب ويتحولون عن البداوة فيبنون البيوت ويغرسون الشجر ويزرعون ويأخذون بتعلم القراءة والكتابة حتى قبل التحضر فتراهم يحملون ألواح الكتابة على ظهور الابل يتعلمون بها، ولا بعد ان نجد فيهم من يقول كما قال أحد أعراب شنقيط:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة ... بها نبين دين الله تبيانا

ـــ وان التعاطف والتعاون بينهم يشبه ما كان في صدر الاسلام بين المهاجرين والانصار رضي الله تعالى عنهم فقد روينا عن أحد المخبرين من أهل مكة المكرمة ان الرجل منهم اذا كان عنده ألف شاة وكان يكفيه لنفسه وعياله نصفها أو ربعها مثلا فانه يبذل الباقي كله لمصلحة الاخوان

ولا يمكن حملهم على قتل أحد الا بحجة دينية فاذا قضوا بأن القتال واجب شرعا وشرعوا فيه فانهم يندفعون بشجاعة واستبسال ، وينفق كل في سبيله كل ماتصل اليه يده من المال، على حين نرى غيرهم لا يقاتل الا مأجورا ، فاذا وجد من يزيد في أجره على من يقاتل معه ليقاتله فعل .

وبلغنا أن دعوتهم تغلغلت في جميع قبائل نجد والحجاز وعسير وأطراف هذه البلاد وما جاورها حتى ان قبيلتي غامد وزهران الخضر يتين طلبتا مرشدين من علمائهم

ماينتقد على المتدينة

هذا مجمل ما بلغنا من خبرهم من المخبرين المعجبين بنهضتهم الذين يرجون تجديد الاسلام في الجزيرة بهذه الحركة ، ولا نجد بدا من ذكر انتقاد بعض رواة خبرهم غلوهم في كثير المسائل وتشديدهم فيها الى انهم يحرمون بعض المباحات ، ويجزون على بعض الذنوب بأشد العقوبات ، وآفة ذلك جهل بعض الدعاة بالاحكام الشرعية تفصيلا، وهو جهل لا يرجى تلافيه الا بالتوسع في العلم الشرعي ، فان الذي يأخذ الدين بقوة يرجع الى ما يعلم من أحكامه وهدايته .

وخصوم هؤلاء المتدينة ينبزونهم بلقب الوهابية الذي وضعته السياسة لاهل نجد وسمته مذهبا ، وقد حدثني الثقة عن عالم من أهل الحديث رآه في مكة وكان في نجد

أن علماء نجد ينتقدون على المتدينة غلوهم في الدين والجهل بكثير من أحكامه التي لا غنى لمسلم يقيم دينه عنها. وسبب ذلك أنه لا يوجد في نجد من الدعاة والمعلمين الراسخين في علم السنة ومذهب الامام أحمد من يكفي لتعليم هذه القبائل الكثيرة التي تركت تقاليد الجاهلية وانتظمت في سلك المتدينة. وانا رأينا أكثر الذين ينعتون الوهابية في الامصار الاسلامية يقولون لا شك في انهم مجددون للاسلام في بلاد العرب ولكنهم غلاة متشددون ولشدة تمسكهم بظواهر النصوص وأخذها بقوة بدوية لا يشعرون بأنهم غلاة متشددون

حقيقة الوهابية ومذهبهم

نرى في كتب التاريخ الحديث ان لفظ الوهابية يطلق على أتباع الشيخ محمد عبد الوهاب العالم السني الشهير الآتي ذكره المجدد للنهضة الدينية في نجد. وقد اتخذ أمير نجد تلك النهضة في ابان ظهورها وانتشارها وسيلة للاستيلاء على بلاد الحجاز التي طال عليها عهد الظلم والجهل ولم يظهر فيها مصلح علمي ولا إداري، فانبرت حكومة الآستانة لمناهضته واخراجه من الحجاز الذي هو مناط عظمتها وسلطتها الاسلامية، واستعانت على ذلك بحكومة محمد علي باشا الفتاة اذ كانت عاجزة عن تولي ذلك بنفسها، وأرادت ان تشوه تلك الحركة الاصلاحية فاذاعت أنها عبارة عن احداث مذهب جديد مبتدع في الاسلام مخالف لمذاهب أهل السنة، وأغرت أنصارها من العلماء الرسميين والمفتين بالرد على هذا المذهب وتضليل أهله أو تكفيرهم وهم ينكرون كل مذهب في الاصول غير مذهب السلف الصالح ويتبعون في الفروع مذهب الامام أحمد ابن حنبل وأصحابه ولكن الدولة العثمانية والحكومة المصرية كانتا أقدر منهم على اقناع أكثر أهل بلادها بأنهم يتبعون مذهبا جديدا وان محمد علي باشا كان مجاهدا ناصرا للاسلام بقتالهم وان كان أصدق مؤرخي عصره وهو الشيخ عبد الرحمن الجبرتي يثبت ضد ذلك في سيرته وفي وصف جيشه وجيشهم، فأما كلامه في سيرته فكثير، وأما مارواه عن المقارنة والمقاتلة بين الجيشين فحسبك منه ماذكره في أول حوادث سنة ١٢٢٧ عند ذكر الذين انهزموا من عسكر محمد علي ورجعوا الى مصر وهو

رواية الجبرتي في الوهابية وعسكر محمد علي

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع أين لنا بالنصر وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبا وصحبتنا صناديق المسكرات ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين. والقوم (يعني الوهابية) اذا دخل الوقت أذن المؤذنون و ينظمون صفوفاً خلف امام واحد بخشوع وخضوع واذا حان وقت الصلاة والحرب قائم أذن المؤذن وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتاخر الاخرى للصلاة وعسكرنا يتعجبون من ذلك لانهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته وينادون في معسكرهم هلموا الى حرب المشركين المحققين الذقون المستبيحين الزنا واللواط الثاركين للصلاة الآكلين الربا القاتلين الأنفس المستحلين المحرمات وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوهم غير مختونين » اه

نظرة في أقوال الناس في الوهابية

لا يزال كثير من مسلمي الحجاز ومصر وسورية والآستانة والاناضول والرملي يظنون ان لاهل نجد مذهبا مخالفا لمذاهب أهل السنة لان بعض الذين كتبوا عنهم قالوا انهم يكفرون غيرهم من المسلمين ويقولون في النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ما يعد إهانة وانهم عند الاستيلاء على المدينة المنورة أخذوا الكوكب الدري من الحجرة النبوية مع غيره من الجواهر والذخائر وانهم ربطوا الخيل في المسجد الشريف وهم لا يحققون هذه التهم ولا ما يصح ان يعد منها كفرا وما لا يعد وهي تهم خصوم سياسيين والسياسة تستحل الكذب والبهتان والتحريف وكل منكر يوصلها الى غايتها. ثم انهم يخطئون عامي قوانين حكوماتهم من المخالفة لاصول الدين وفروعه القطعية المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة التي يكفر جاحدها باتفاق مذاهبهم كاباحة الزنا والربا والقتل لاسباب عسكرية وسياسية مخالفة للشرع، وعن قول علمائهم ان الرضا بالكفر كفر وعما يسمعون من الاقوال ويرون من الافعال التي يعدها فقهاؤهم كفرا أو فسقا يكفر مستحله. ولا يقولون لعل ما يقال عن أهل نجد ان صح يكون من جهل بعض أفرادهم لا من مذهبهم كما أن ما في بلادنا من أحكام القوانين وأعمال الكثير من الفساق والمرتدين هو من جهل بعض الناس بالدين أو ترك الاهتداء وليس عملا بمذهب أبي حنيفة الذي هو مذهب الحكومة وأكثر الولايات التركية ولا

بمذهبي مالك والشافعي اللذين ينتمي اليهما أكثر أهل هذه الولايات العربية

أهل نجد الذين يسمون وهابية كلهم حنابلة يتفقون من كتب السنة المشهورة وكتب مذهب الامام أحمد بن حنبل رابع الائمة الاربعة المشهورين وأوسعهم علما بالسنة كما يعلم ذلك أهل الحديث في كل بلاد الاسلام وهو استاذ أشهر مدوني كتب السنة كالبخاري ومسلم صاحبي الصحيحين اللذين هما أصح كتب الاسلام بعد كتاب الله تعالى . وحكومة نجد لا تحكم الا بفقه الامام أحمد فلا يوجد فيها قوانين غيره ولا أحد هنالك يعمل أو يحكم بقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب قاله باجتهاده ولا يوجد أحد في تلك البلاد يجاهر بمعصية من المعاصي الكبائر .

فهم باستمساكهم بمذهب الامام أحمد يشبهون أهل أفغانستان في شدة استمساكهم بمذهب الحنفية والتعصب له وشدة الانكار على مخالفه، ولكنهم يفضلونهم ويفضلون سائر المتدينين الى المذاهب الاخرى بتقديم نصوص الكتاب والسنة على أقوال علماء مذهبهم عملا بقوله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ويعذرون من يأخذون بأقوال أي امام من المجتهدين ولكنهم ينكرون على من يأخذ بقول أي مؤلف منسوب الى مذهبه فيما يخالف فيه السنة الصحيحة الصريحة وذلك كثير. وأما الافغانيون فيعاقبون من يخالف مذهبهم ولو الى قول مجتهد آخر منهم أو عملا بحديث صحيح . فمن المعقول عنهم أنهم يعاقبون من يقول « آمين » بعد الفاتحة حتى ان بعضهم سمع رجلا يصلي بجانبه في الصف قال آمين مع تأمين الامام فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على قفاه. وينقل عنهم انهم اذا رأوا معلما يرفع سبابته عند التشهد فانهم يعاقبونه بقطعها، وقد سألت عن هذا بعض طلبة العلم منهم في مسجد لاهور لاثري الكبير بالهند فقالوا انه صحيح وأرادوا أن يحتجوا عليه فقصرت الكلام معهم مغلظا في الانكار عليهم

وأخبار تعصب أهل المذاهب بعضهم على بعض مشهورة مسطورة في كتب التاريخ وكل ما كان ينكره الحنابلة أهل الكلام في العقائد وأهل الرأي في الفقه هو الاعتصام بظواهر نصوص الكتاب والسنة وترجيح ما كان عليه السلف الصالح على ما جاء به أذكياء أهل النظر من بعدهم لذلك كانوا هم أحق بلقب أهل السنة

من الذين ينتحلونه لانفسهم دونهم

وأما غيرهم لهذا العهد من الغلاة المعتدلين، لا من الغلاة المشددين، فقد بلغنا أن الانكليز اجتهدوا في أول العهد بالحرب الاخيرة في استمالته لقتال الترك فاعتذر عن ذلك بانهم مسالمون، وان ما كان حرب أهل بلاده لهم من قبل فانما هو دفاع لا اعتداء، وكبار علمائهم أولى بالاعتدال وانصاف المخالف، فلم يبق الا أن خصومهم يجعلون شذوذ بعض الغلاة منهم قاعدة متبعة ومذهبا لهم كافة

وانني أذكر لهم شاهدا على مبالغتهم في سوء الظن بدين أهل البلاد التي فشت فيها الاقوال الشركية كدعاء غير الله تعالى ولا سيما في وقت الشدة — وعلى كونهم مع هذا يتبعون الدليل اذا ظهر لهم ويقنعون به

زارني في مكة المكرمة شاب نجدي يظهر انه من طلاب العلم فقال انني أريد أن أسألك عن شيء أشكل علي من عملك وانما أسألك عنه لانك من علماء الحديث وأنصار السنة ومقاومي البدع. قلت سل. قال: انني رأيتك تصلي مقتديا بأئمة الحرم وقد فشا فيهم دعاء غير الله تعالى فيما لا يطلب من غيره والاستعانة بسواه فيما هو خارج عن الاسباب التي يتعاون الناس فيها وغير ذلك من الشرك الجلي ... قلت انني لم أصل مقتديا بأحد سمعت منه مثل ذلك أو علمته عنه، وانه لا يوجد عمل أدل على اسلام المرء وايمانه من الصلاة فانا أصلي مع كل من رأيته يصلي اذا لم يكن عندي علم بأنه على عقيدة باطلة. واذا كان الله تعالى يقول (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا) والسلام أضعف الامارات على الايمان فهل يصح أن أقول بكفر المصلي والصلاة أقوى أمارات الايمان؟ فرأيته قام بهذا الدليل ورضي به، ولكنني رأيت من المتعذر اقناع أولئك الطلاب الافغانيين في لاهور بخطأ قومهم فيما ذكرت آنفا. ومثلهم من يقلد شيوخ السوء المفرقين في تكفير من يسمونهم الوهابية

لا يوجد عالم سني ولا شيعي ولا خارجي يدعي العصمة لاهل مذهبه فكل فرد من أفراد كل فرقة عرضة للخطإ وان بلغ من سعة العلم ما بلغ وكان الامام مالك يقول: كل أحد يؤخذ من قوله يرد عليه الا صاحب هذا القبر — ويشير الى قبر

المصطفى صلى الله عليه وسلم. وخير المخطئين من يكون خطأه عن اجتهاد وحسن نية سواء كان في تنقيح المناط أو في تحقيقه وآيته انه اذا ظهر له الدليل على خطأه رجع عنه الى الصواب، وشر المخطئين من يتبع في خطأه من ليس معصوما ويصر عليه وان ظهر له الدليل من الكتاب والسنة على خلافه. فما أضاع الدين وروج بضاعة الجاهلين والدجالين الا هذا التقليد الاعمى من الشيع والفرق لكل من ينسب الى مذهب من يسمونه امامهم من غير علم ولا بصيرة، حتى انهم يقلدونهم فيما يخالف نصوص الائمة الذين يدعون اتباع مذاهبهم، والشواهد على ذلك كثيرة في المنتسبين الى كل مذهب من المذاهب، ولكنهم يتخذون أسماء الائمة دروعا ودرقا يذود فيها حجج كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبينة اعراضهم عنها واتباعهم سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع مصداقا للحديث المشهور، وانما أرادوا أن يسلبوا أهل نجد مثل هذا الدفاع عن أنفسهم فسلبوهم اسم المسلمة وسموهم الوهابية، فلا فليأتوا بمسألة واحدة مما عليه جمهور أهل نجد لا أصل لها في الكتاب والسنة ولا في كتب مذهب الامام أحمد بن حنبل كما يأتيهم هؤلاء بكثير من المسائل المخلة بعقيدة الاسلام وبأحكامه التعبدية والقضائية الفاشية في بلادهم مما ليس له أصل في الكتاب والسنة ولا كلام الائمة

تلك حقيقة من يسمون الوهابية والنجدية ونسبتهم الى غيرهم من المنتمين الى المذاهب المشهورة لخصناها مما قرأناه في كتبهم ومما وقفنا عليه بالرؤية والاختبار ومن كتب التاريخ التي خلطت الحق بالباطل وجمعت بين ما كتبه المدلسون والافرنج على اختلاف الروايات والاهواء، كدأب الناس في كل ما تدخل فيه السياسة وتتنازع فيه الاحزاب والشيع، وانا ننقل ما كتبه مؤرخ من أهل العلم الذين صدقوا كما كنا نصدق ما أذاعته السياسة من تأسيس الشيخ محمد عبد الوهاب لمذهب جديد وما ذاك الا رجوعه الى مذهب السلف الذي رجع اليه أكبر حذاق النظار من أهل الكلام في أواخر أعمارهم كالاشعري والغزالي والرازي وغيرهم على تفاوت بينهم في معرفة السنة وآثار السلف والتدرج في الرجوع، وهو:

﴿ مذهب الوهابية وعقائدهم ﴾

كتب المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري الذي كان مفتي بيروت في عهد السلطان عبد الحميد في ترجمة السلطان محمود الثاني العثماني من كتابه (نخبة الانام ، مختصر تاريخ الاسلام) الذي ألف وطبع في بيروت سنة ١٣٢٠ مانصه :

«ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهابية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق

«وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب وهو رجل ولد في «الدرعية» بأرض العرب من بلاد الحجاز طلب أولا العلم على مذهب أبي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان ، أخذ عن علمائها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم عاد الى بلاده سنة (١١٧٠) ثم أدته آلميته الى الاجتهاد[1] فأنشأ مذهبا مستقلا وقرره لتلامذته وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و«ذي سلم» من أرض «اليمن» ولم يزل أمرهم شائعا ومذهبهم متزايدا وجماعتهم تكثر الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خوفا من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ سراجهم[1] وبدد شملهم وأخفى ذكرهم ، وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الامن في طريق الحج وأتى الناس أفواجا لتأدية فريضة الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن أحد يتمكن من اداء هذه الفريضة

(١) لايخفى ما في هاتين الجملتين من الاشارة الى الاستحسان ولو صرح لعاقبته السياسة وصادرت الكتاب

وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم ومعتقداتهم :

«اعلموا رحمكم الله ان الحنيفية ملة ابراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فاذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث اذا دخل في الطهارة كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) فمن دعا غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضر فقد أشرك في العبادة كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) فأخبر تبارك وتعالى ان دعاء غير الله شرك ، فمن قال يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعماً انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه[1] فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الا أن يتوب من ذلك ، وكذلك الذين يحلفون بغير الله أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجي الى غير الله أو يستعين بغير

(١) هذا الاجمال يفسر ما بعده والقوم لا ينكرون الشفاعة بل يأخذون فيها بنص القرآن كما صرح به ابن عبد الوهاب في رسائله

الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضاً مشرك. وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وأمرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى. يصح ذلك أي التشنيع عليهم بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتابه

أولها : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون أن الله هو الخالق الرزاق المحي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض أمّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون » وقوله تعالى : « قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم؟ سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون » . اذا عرفت هذه القاعدة وأشكل عليك الامر فاعلم انهم بهذا أقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

﴿ القاعدة الثانية ﴾

انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم، وهو شرك. والدليل على ذلك قول الله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) . اذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

القاعدة الثالثة — وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الاصنام ومنهم من تبرأ من الاصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) ورسول الله لم يفرق بين من عبد الاصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله . واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف:

القاعدة الرابعة — وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون، والدليل عليه قوله تعالى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله . فاذا عرفت هذا فاعرف : ان المشركين في زمان النبي أخف شركا من عقلاء مشركي زماننا لان أولئك يخلصون لله في الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب اه

«وهذه الرسالة والقواعد التي أسسها ذلك الشيخ لاشبهة فيها لان هذا هو الدين الذي جاء به النبي والانبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة واتبعه قومه من بعده فافرطوا وفرطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تنقيص وتحقير ما عظمه الله وأمرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره، وقاسوا المسلمين المخلصين في التوحيد بالمشركين، حتى قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم، كما وان أكثر العوام من جهلة الاسلام قد تغالوا وأفرطوا وابتدعوا بدعا تخالف المشروع من الدين القويم فصاروا يعتمدون على الاولياء الاحياء منهم والاموات معتقدين

أن لهم التصرف وبأيديهم النفع والضر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم، وخروج عن الصراط المستقيم، وقد ورد في الحديث المرفوع « دين الله تعالى بين المغالي والمقصر » اهـ

[المنار] هذا ما كتبه مفتي بيروت رحمه الله ولا يخلو كلامه الأخير من تعارض لعل سببه محاولة الجمع بين اعترافه بصحة عقيدتهم التي رواها مجملة وبين ما نقله عنهم خصومهم . على انه كان مضطرا فيما كتبه الى اتقاء وشاية المفسدين والسعاية به الى السلطان عبد الحميد الذي كانوا يخوفونه من استعداد الوهابية للخروج عليه وهؤلاء يقولون في ذلك : اذا كان المؤلف قد اعترف بأن هذه القواعد هي دين الله الذي أرسل بها رسله كلهم فكيف يكون مؤسسها واضعا لمذهب جديد وهل الجديد الا مخالفتها ؟ واذا كان قد اعترف أن أكثر العوام من جهلة الاسلام خالفوا الدين القويم بالاعتماد على الاولياء والاحياء والاموات الخ ومن المعلوم ان غير الأكثر الجاهلين أقروهم على ذلك فكيف يكون من بين لهم الحق الذي ضلوا عنه وقاتلهم عليه مخطئا ؟ وأين قياس الموحدين المخلصين بالمشركين ؟ واذا صح قوله ان هذه القواعد قد تولد منها تنقيص ما عظمه الله وهي حق باعترافه أفلا يكون ذلك من قبيل قوله تعالى في كتابه (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) وما المراد بذلك التنقيص ان المؤمن بالله وبكتابه الغالي في أتباعه لا يصدر منه تنقيص لما أمر بتعظيمه ولكن خصومنا يطلقون ذلك على إنكارنا غلوهم في تعظيم الصالحين بوصفهم بما لا يوصف به الا الله خالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم واستعانتهم به فيما لا يطلب الا منه تعالى الشرع دون عرف كما هو مقرر في القواعد . فان تجاوز بعضنا هذا الحد الى ما يعد تنقيصا في عرف أهل البدع أو الشرك فانا ننكر عليه كما ننكر على كل مخالف ، ولا نبرئ كل من انتمى الينا من الخطأ في فهم قواعدنا أو مخالفتها وسببنا ان مدعونا وقاتلنا في مبتدئه من جردوا علينا الحملات العسكرية لاجل الملك هو دين الله على لسان خاتم رسله ودين سائر أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم كما اعترف بذلك المفتي رحمه الله

هذا ما يقولونه والشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسائل في رد شبهات المخالفين ربما ننشر بعضها في المنار ليطلع عليها من لا يعرف عنه شيئا الا من كلام المتزمتين

﴿ الوحدة العربية . ودعوة ملك الحجاز الى قتال الوهابية ﴾

قويت في هذا القرن فكرة وحدة الاجناس ولا سيما الذين يجمعهم وطن واحد ويتعارفون بلغة جامعة وتوجهت همم المشتغلين بالسياسة والشؤون العامة الى ترقية أقوامهم وجمع كلمتهم ووحدة حكومتهم ، وكان من أمر العرب التابعين للدولة العثمانية في ذلك ماقصلنا القول فيه من قبل

ونقول الآن ان ثورة مكة المكرمة واعلان أميرها الحسين بن علي الخروج على مغالبة الاتحاديين الطورانيين ثم على دولة الترك بجملتها في عهد الحرب الاوربية بل البشرية الكبرى قد أطمع بعض أهل الغيرة والاخلاص من العرب باتخاذ ذلك وسيلة الى جمع كلمة عرب الجزيرة والاستعانة بوحدتهم واتفاقهم على إنقاذ عرب سورية والعراق من ظلم الاتحاديين واضطهادهم اياهم في زمن الحرب والتعاضد معهم بعدها على مايرتقي به الجميع سواء انتصر أحلاف الدولة العثمانية وظلوا مرتبطين بها أو انكسرت بانكسارهم وفصل بينهم وبينها . وزاد في طمعهم هذا اعلان الزعيم العربي الاكبر أن ثورته عربية جنسية لاتفرق بين المسلمين وغيرهم من العرب . ومما نقل عنه وعن أنجاله قواد جيوشه وانتشر في جميع الاقطار التي يقطن فيها الناطقون بالضاد قوله : اننا كنا عربا قبل موسى وعيسى ومحمد . أي فيجب ان نقيم وحدتنا العربية التي كانت قبلهم صلوات الله وسلامه عليهم فلا يكون مللهم حائلة دون ذلك

لهذا سعى اليه بعض هؤلاء الطامعين في جمع الكلمة بأن يعقد اتفاق بين شريف مكة والامير ابن سعود صاحب نجد والامام يحيى صاحب اليمن والسيد الادريسي صاحب عسير على قاعدة الاعتراف لكل منهم باستقلاله في بلاده والتعاون بينهم

[illegible]

الحرب ووصل خبره الى الشريف بعد ابطاله اليهم واستحسانهم له والعلم برغبتهم في الوقوف على تفصيله والبحث في طريقة تنفيذه ولم يعلم رأيه فيه قبل الهدنة ولما عرض عليه بعدها وقد ظهرت شدة الحاجة اليه رسائل أن يتسرع في تنفيذه قبل أن يسميه اليه يحمل عندهم على خوفه من الترك وتعذر الاستعانة عليهم لا على الاخلاص وانه يرى

تأخيره الى ان يفتح المدينة المنورة ولا يبقى للترك شيء في الحجاز . ولكن روى عنه بعض عماله انه كلم بعضهم في المسألة فقال كلا انما اصله احتقار أولئك الامراء [illegible] وكون ظلمهم لا يدوم سيزول عما قريب أي سيزيلها هو

ثم صرنا نرى في أعداد تلقى الينا من جريدة القبلة (بعد قطعها المبادلة مع المنار على اثر دخول الحكومة الهاشمية دخوله في الحجاز) مقالات ومنشورات في الطعن في أهل نجد والدعوة الدينية التي قاتلهم . ثم بلغنا خبر ارسال حكومة مكة الهاشمية الحملة بعد الحملة لقتال بني عمهم خالد في الخرمة . ثم بلغنا بعد تسليم المدينة المنورة بأشهر خبر القتال بين الجيش الذي كان محاصرا لها وبين النجديين أنفسهم . فكان ذلك مثار حسن شديد في قلبنا وقلب كل عربي يحب وحدة قومهم واتفاقهم وكل مسلم يكره التعادي والقتال بين أبناء دينه . بل ذلك مما يحزن كل شرقي يكره ان يشهد الغير يبون الشعوب الشرقية وأن تكون هذه الشعوب هي التي تمهد لهم السبيل الى ذلك بتعاديها وتقاتلها والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وانما نثبت في هذه الفصول التاريخية المحزنة بعض ما نشر في جريدة القبلة من ذلك . فمنها المنشور الرسمي الذي صدر به عدد القبلة الذي صدر في غرة ربيع الاول من هذه السنة لنقله عن الجرائد وهو

﴿ منشور ملك الحجاز ﴾

أعلنا في منشورنا الصادر يوم الاربعاء ٩ شوال سنة ١٣٣٦ الذي نشرته « القبلة » في عددها ٢٠٢ الصادر يوم الخميس ٢٤ شوال سنة ١٣٣٦ عن البدع والزيغ الديني الذي تلقنه أهل الخرمة — القرية المعروفة الكائنة في شرق مكة المكرمة وفي الشرق الشمالي من الطائف وتبعد عنه نحو الثلاثمائة فرسخ — من بقايا منتحلي العقيدة الوهابية من ساكني بعض قرايا نجد المكفرين لكل العالم الاسلامي بالاحتمالات المعلومة الساقطة عقلاً ونقلاً التي من جملتها زيارة روضته صلوات الله عليه وسلامه

كما يشهد بذلك عليهم اجتناب كل فرد ينسب الى اعتقاد تلك الاضاليل لزيارته صلوات الله عليه وسلامه وكشارب التنباك وحامل السبحة ونحو ذلك . وأن لا بد للرجل أن يعترف بأن أباه وجد جدّه ماتوا على غير الاسلامية . وها ان مجتهديهم قد أتونا في هذه المرة أيضاً بتكفير من يضحك أو يروي الشعر أو من يحدو ، الى غير ذلك من الاباطيل التي تعين ماهية علمهم. وكوقوعهم فيما يرمون به أهل السنة والجماعة باعترافهم على أنفسهم بالنفع والضر بالعصا بقولهم انها تنفع وتضر ومحمد زاده الله شرفاً وتعظيما . . . الخ . وجهلهم ان معاشر أهل السنة بصرف النظر عن انهم لا يقولون بذلك والعياذ بالله فانهم يعتقدون ماهو أعم وأبلغ مما تزعمه المبتدعة المذكورة كاعتقادنا بأن الماء لا يروي والطعام لا يشبع والنار لا تحرق ولا تقطع السكين الا بقدرته وارادته جل شأنه وعلا . واننا لا نريد الا فيما أراده الصديق الاكبر والفاروق الاعظم رضوان الله عليهما من الالحاح في دفنهما عند ما أدرك كلامنهما الاجل عند قدميه الشريفتين صلوات الله عليه وسلامه . وهذا على سبيل الاختصار فليتأمل

وعليه وعلى ما أشرنا اليه في منشورنا البادئ الذكر أعلاه من عزمنا على الرفق في معاملاتهم والتباعد عن كل مايؤدي الى سفك الدماء وصيانتها ولكن أبت تلك الضلالة وذلك الزيغ عن منتحليهما الا الاصرار على المقاومة كما يعلم من الوقائع التي نشرتها جريدة «القبلة» من قبيل الحوادث ولتجاوز جرأتهم بواقعة يوم السبت الماضي الموافق ٢٠ صفر سنة ١٣٣٧ على مركز المؤن الكائنة في (عشيرة) وتشجيعهم بالمدد الوارد اليهم من اخوان بدعتهم برفق سلطان بن بجاد المعروف لديهم بسلطان الدين وغيره من عرفائه

« رأت الحكومة — وهي لاتشك بأنها في ضمن قوله صلوات الله عليه وسلم: يؤجر المرء رغم أنفه[1] — أن تقوم بمقابلة أولئك المبتدعة بالمثل مباشرة ، بالاصالة عن نفسها وبالنيابة عن كافة المسلمين مع مراعاة الرفق أيضا لمحو هذه البدعة خدمة للدين وتنزيها له مما في هذا الزيغ والضلال وسلامة البلاد من سيئاته . والله ولي التوفيق » اهـ

في هذا المنشور تصريح بان التخاصم كان أولا بين أهل الحرمة وحكومة الحجاز كما تقدم في أول هذه الفصول ، وان أهل الحرمة ساعدهم غيرهم بعد ذلك . وما ذكر في المنشور من بدع الوهابية نسب الى بقايا منهم في بعض قرى نجد ، وهذا لايبيح اطلاق القول في تكفير أهل نجد كلهم ولا جملتهم ولا يبيح قتالهم وانما على حكومتهم أن تنظر في أمر من ضل منهم ان صحت الرواية على ظاهرها . وقد اطلعنا على منشور صدر بعد هذا في العدد الذي صدر من جريدة القبلة في ٨ جمادى الاولى ووقع اعلاه (باسم الحسين بن علي) وهذا نصه :

منشور كريم

بسم الله الرحمن الرحيم

وما يبدئ الباطل وما يعيد

الحمد لله رب العزة من استهدى به هداه ، ومن توكل عليه كفاه ، والصلاة والسلام على خيرته ومجتباه ، وآله الطهر ، وأصحابه الميامين الغر ، ماكمد حسود وجحود

أما بعد فقد ضاق ذرع حسادنا وغضبت جمية تلفيقات مخترعات إفكهم فأصبحوا لا يجدون مايقولون ، ولا يفقهون بما علينا به يفترون ،

---

(١) المنار : لم يرو أحد من حفاظ السنة عن النبي «ص» أنه قال هذه الجملة ولكنها مما يدور على الالسنة وسبب تسيير الكثير من أمثال هذه الجملة حديثاً شبهها بالاحاديث في اختصارها وافادتها حكمة أو حكماً

الا اشاعتهم في هذه الخطوة بأن العرب مختلفوا الرأي متفرقوا الكلمة ادّى بهم اختلافهم الى القتال شبوب نار حربه بينهم لاثبات عدم كفائتنا معاشر العرب امام العالم الذي أعان والثناء لله ثبته بنا وحسن ظنه فينا الى الدرجة التي لا نرى من حاجة للبحث عنها ، كما اننا لا نرى أيضاً البحث عن تلك المختلقات الساقطة بطبعها بالوفود الذي لا يخلو شهر من قدومهم علينا من أقاصي البلاد على مرأى ومشهد العامة الان أرادوا تجدد دعوى مبتدعة الوهابية المذكورة الذين نشر أمرهم غير مرة على صحائف (القبلة) فنحن نحرر منشورنا هذا علاوة على ماسبق ليعلم القاصي والداني بانه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مباديتهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته ويعتبره من أشرف الوظائف وأهمها مصلحةً لا لإرادة ملك أو حرصاً على رياسة كما بيناه في الحفلة العمومية الاخيرة وصرحنا لمن حضرها بانكم ان رأيتم من هو أرشد وأصلح مني للامر فهذه يدي ممدودة لعهده وأيدنا قولنا هذا بالحجج المعلومة لدى حضارها ولكن يقاتلهم للقصد والغاية التي زحفت من أجلها على مركزهم جيوش مولانا محمد علي باشا الاكبر طاب ثراه ولسلامة وصيانة البلاد من كفر وفسوق وعدوان أمثال هذه الخارجة وشوائب خروجهم عن الاسلامية فانه بصرف النظر عن تكفيرهم لمن سواهم من العالم الاسلامي ونيلهم من سيد الاولين والآخرين مَن وصفه جلت قدرته بأنه عزيز عليه[1] وانه رحمة

(١) المنار : يشير بهذا الى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) وظاهر عبارة المنشور ان قوله تعالى « عزيز عليه » وصف للرسول مستقل معناه انه مكرم عنده تعالى كما يقول الناس اليوم : فلان عزيز علينا أو عندنا . والصواب أن قوله « ما عنتم » معمول له وما مصدرية : أي عزيز عليه عنتكم أي شديد شاق عليه أن تقعوا في شدة أو مكروه

للعالمين فتبجحهم بقولهم ان العالم سيبعث شاء المولى أولم يشأ والعياذ بالله وهو عز من قائل يقول (قُتل الانسان ما أكفره) نعم — قتل الانسان ما أكفره — الى قوله عظمت قدرته (ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره) الآية كفاية للمتبصر ، لا يبقى بعد هذه المجاهرة بهذه الشناعة متأمل فليعتبر وليتهم بعد ان اعتقدوها وأمثالها اكثته صدورهم لينظر اليهم كسائر المتحلين والمتقدين من المسلمين وسواهم (كذا) ولكنهم تظاهروا بها وأباحوا دماء من لم يجب دعاتهم على اعتقادها وأمثالها وبدؤهم بالقتال واستحلوا أموالهم وانفسهم فكيف لا يقال والحالة هذه بقتالهم ام كيف نتحدث عن اعلانه بمنشورنا هذا على صحيفة القبلة اولاً ثم لردافه بأناعلى ماقلناه وصرحنا به المرة بعد الاخرى بأن مبايعينا بالذات اوبالواسطة اذا رأوا المصلحة في سوانا فهذه ايدينا واولادي لعهد من يريدونه مبسوطة وإن لم نكن كذلك فبرأ من الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونكن من الذين عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وهذا منا كما يعلم الله سبحانه وتعالى حرصاً على رابطة جامعة اقر امنا ان يفتنهم الاجراء ومبغضو تجدد مجد وسودد علياء الاسلاف بتهالكنا ونسبتنا بحب الرياسة والحرص على الجاه وهو العالم الخبير فلا تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون » اه

في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٣٧

[المنار] : هذان المنشوران الرسميان قليل من كثير ما نشرته جريدة القبلة التي هي لسان ملك الحجاز باسمه واسمها في تكفير الوهابية أو النجديين والدعوة الى قتالهم باسم الدين تارة واقتداء بمحمد علي باشا تارة أخرى . ومن العجيب أن يسمي ملك الحجاز محمد علي مولاه ويجعل قدوة له في قتال أهل نجد بناء على

انه قتال لا يطالب به ملك ولا جاه كأن محمد علي من الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقامة الدين ، فعسى أن يراجع تاريخ الجبرتي المعاصر له الذي كان يدون اخباره عند حدوثها يوما بعد يوم ليعلم مبلغ علمه بالدين وعمله به، وأن يقرأ قانونه (قانون الكرباج) الذي طبع في المطبعة الاميرية منذ أول العهد بتأسيسها. وهو مع هذا يتكلم في تكفير القوم بلسان العالم المستدل ومحمد علي كان أميا لا عاميا فقط، ويتكلم في وجوب ذلك عليه باسم من ولي امامة المسلمين وخلافة نبيهم (ص) ليقيم دينهم وينفذ أحكامه وحدوده في المرتدين والبغاة، ومحمد علي كان واليا لمصر من قبل السلطان العثماني وبأمره حارب الوهابية، وملك الحجاز اليوم كان أميرا من قبل السلطان العثماني على الحجاز بسلطة محدودة فخرج عليه موالاة لدول الخلفاء وسمي ملكا للحجاز باعترافهم له ، ولا يزال الحجاز بحسب القانون الدولي من بلاد الدولة العثمانية ولن يزال كذلك حتى يعقد الصلح بين الحلفاء وبين الدولة العثمانية ويفصل فيه بأمر الحجاز

وأما أهل نجد فهم مستقلون منذ قرون كثيرة وحاكمهم يسمونه اماما وما نظن أنهم يبايعونه بالامامة (أي الخلافة) كما يبايع أهل اليمن أئمتهم، وحكومتا اليمن ونجد شرعيتان والحكومة العثمانية قد اعترفت باستقلال اماميها وليس فيهما قوانين وضعية ولا معاهدات تقيدهما بقيود غير شرعية ، فان خرجت احداهما عن الشرع أو ارتد أهلها كلهم أو جلهم عن الدين (فرضا) فأجدر بالاخرى أن تكون هي تقيم حكم الله فيها

وأما تصدي ملك الحجاز الذي يدنا صفة حكومته لمثل ذلك بمساعدة حلفائه وأوليائه فلا يخفى حكمه ، وهو يستلزم أن يقاتل أهل الشام اذا تم لهم ما يطلبونه من الاستقلال دونه وانشاء حكومة مدنية اذا خالفت حكومتهم الشرع في بعض أصوله وكذا بعض فروعه المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة، وهو لا يستطيع ذلك مهما تكن الحالة التي يقر أمر حكومته عليها مؤتمر الصلح . بل ليس للمسلمين امام في هذا العصر يستطيع أن يقوم بالامر الذي تدعو اليه هذه المنشورات الحجازية، فلم يبق الا أن المسألة يراها جمهور المسلمين مسألة تنازع وتقاتل بين طائفتين متجاورتين من المسلمين تكفر كل منهما الاخرى، والواجب اذا على أصحاب الاستطاعة منهم أن يحكموا

فيهما قوله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)

والمسلمون المستقلون القادرون على هذا هم جيران الحجاز ونجد من أهل اليمن وعسير . فالمطالب بذلك شرعاً إمام اليمن والسيد الادريسي صاحب عسير . وأما مسلمو سورية والعراق فهم خاضعون الآن لاحكام دول الحلفاء العسكرية فليس لهم حرية ولا قوة على عمل شيء باسم الاسلام ولا باسم الوحدة العربية وهمهم في هذه الايام محصور في درء خطر الاستعمار الاوربي عنهم ويتمنون لو يتفق على الوحدة الوطنية مؤمنهم الصادق وملحدهم المجاهر والمنافق، واليهودي والنصراني، والدرزي والنصيري والاسماعيلي ، وانه ليوجد في مسلمي العرب ملاحدة كملاحدة الترك من الاتحاديين وغيرهم ، ومنهم من يهرجون في خطب يلقونها ومقالات ينشرونها على الجماهير بوجوب جعل الدين الاسلامي محصوراً في المساجد لا يتجاوزها الى دواوين الحكومة أو المحاكم ، فما يفعل هؤلاء من يقاتل الوهابية اقامة لاحكام الدين ؟

وقد نقل الينا عن هؤلاء الوهابية وعن بعض الحجازيين والترك وغيرهم ان أمراء مكة من الشرفاء لهم قانون سري وضعه لهم جدهم أبو نمي قد شرع للشرفاء فيه أحكاما خاصة بهم تصادم الكتاب والسنة وما أجمع عليه جميع المسلمين فكون الشريف منهم اذا قتل يقتل به أربعة من قبيلة القاتل وغير ذلك من الاحكام التي تبيح لهم من أموال الناس ودمائهم ما حرمه الله تعالى . ويدعي هؤلاء الوهابية أن ملك الحجاز الذي قام بثاوثهم يدين بهذا القانون وينفذ أحكامه وان هذا كفر باجماع المذاهب الاسلامية كلها وانه هو يعاقب بالقتل والصلب والقطع ومصادرة الاموال من غير محاكمة ولا حكم شرعي ولا غيره وان استباحة ذلك كفر صريح بالاجماع

فالذي يأمر لن يتصدى لاصلاح ذات البين أن لا يقابلوا كلام أحد الفريقين [illegible] بل يسعوا [illegible] أن يتحكم في عقيدته بمذهبه أقوى على توهين السلاد ويجعل الفصل للحسام والسنان ، لا للسيف واللسان

وأما ابن سعود فلم يكن منه شيء في مقاومة جماعة الحجاز لا بلخص المنشور الذي أرسله الى بلاد الشام بعد اعلان حكومة دمشق طلب التطوع لانشاء جيش الحجاز وهذا نصه :

﴿ خطاب ابن سعود لاهل الشام ﴾

« خطاب الى حضرات كبار ورؤساء (ووجهين ومدنيين) أهالي بلاد الشام مسلمين وسواهم ممن تلزمه المخاطبة ويتناوله التكليف . السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

لقد بلغنا عنكم مالا يوافق مصالحنا ومصالحكم ولا يتفق على الحق والعدل ولذلك فرضنا الى أحد مريدينا أن يلقي اليكم برسالتنا هذه وهي في مقام شكوى وتذكير فنقول :

« انكم تعلمون اننا منذ مئات من السنين قابضون على زمام حكومة نجد « وتوابعها » أباً عن جد مستقلين لا ينازعنا فيها منازع . وليس لدولة منا أدنى علاقة بديارنا سوى العلاقة الودية التي نتجت عن تحسس دولي الخليفة المسلمين بالآستانة والتي أوجبها ورعنا وورع آبائنا العظام على حين أن بلاد الحجاز كبلاد الشام كانت في ملكية الدولة العثمانية ، حتى جاءت الحرب العامة وانتهت بما تروونه من تشتت شمل الامة ، وتمزق وحدة الملة ، وكان ماكان في ذلك الاثناء من أمير مكة المكرمة مما لا شأن لنا به لو أنه قصر عمله وفعله على الحجاز ولكنه جازاه الله بعمله عقد عقودا وأبرم مواثيق دعى بها سائر الاقطار العربية الى مهاوي الهلاك وهي بحمد الله تدعون منبع الاسلام فطوح بها الى حضيض الذل والهوان بعد ان عزت آلافا من الدهور

الى أن قال — « وذلك تجاوز منه وجرأة على الله والامة وأنى له هذا الحق والبلاد العربية فيها ممالك مستقلة ذات خبرات ومجربات وملوك وسلاطين منحدرين من أصلاب طيبة وأرحام طاهرة هم سادات وأشراف أثبت منه نسبا وأكرم حسبا

« هذا وقد آلينا على أنفسنا نحن المتحدون بالله والى الله أن لا نرجع حتى يرجع الحق الى نصابه . ويشهد الله أن ذلك ليس منا انتصارا لدولة ولا طمعا في توسيع ملك

« نحن نعلم ان ذلك الامير يلقى علينا مقولات ويرمينا بالموبق من الدين ويدهوننا وهابية ليستفز ثائرة المسلمين علينا ويجمع الجند منهم ويقاتلنا بهم فيريد بذلك نشر الفتنة وتعظيم الخلاف

« فيا أبناء الشام ، وأهل باب كعبة رب الانام ، نحن مثلكم مسلمون مؤمنون موحدون ندين بدين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب (صلى الله عليه وسلم) ونقر بترتيب الاصحاب كما جاءوا في الحكم والاستخلاف ونقلد في عباداتنا الامام الاعظم أحمد بن حنبل ونعترف ان اخوته الائمة الباقين هم مثله في العظمة والصدق والصحة فحذار ثم حذار أن يفرقكم ويفسدكم ويفتنكم فتعطوه جندا ومالا فما امامكم الا اخوتكم في الله يجاهدون في الله ، ولم يسبق بيننا وبينكم عداوة ولا نحن ظالمون في بلادكم ، فبلادكم تعلمون مصيرها ، فخلوا بيننا وبينه ليزول الاجل ويقضي الله أمرا كان مفعولا . أما ان كانت لكم كلمة نافذة فاصرفوها في سبيل الحق الحق

وبعد فان من يتجند الى قتالنا فحينئذ الله عليه والسلام على من سمع فوعى

« عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود »

﴿ تذكير المنار للفريقين ﴾

أيها العرب الكرام ليس هذا الوقت وقت التفرق والانقسام ، والتقاتل بدعوى تأييد الايمان وإقامة الاسلام بل هذا وقت يتفق فيه الاقوياء من دول أوربة على تقسم بلاد العرب كلها ووضعها تحت سيطرتهم حتى ان حياتها ومعيشتها تكون وهن أيديهم

تذكروا ان جميع الممالك العربية التي زالت وزالت دولتها مازالت الا بتخاذل امرائها وزعمائها . كذلك كان زوال ملك العرب بالاندلس والجزائر ومراكش وتونس ، وكذلك زالت أكثر ممالك الشرق في الهند وغيرها ، خوبوا بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم فاعتبروا يا أولي الابصار . .